


February 2020

المسؤولية الاجتماعية بين المفهومين التقليدي والحديث

Mohamed A. Kozy

Professor, Faculty of Human Sciences, Beirut Arab University, Beirut, Lebanon,
mohammad.kouzi@bau.edu.lb

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.bau.edu.lb/schbjournal>

 Part of the [Architecture Commons](#), [Arts and Humanities Commons](#), [Education Commons](#), and the [Law Commons](#)

Recommended Citation

Kozy, Mohamed A. (2020) "المسؤولية الاجتماعية بين المفهومين التقليدي والحديث," *BAU Journal - Society, Culture and Human Behavior*. Vol. 1: Iss. 2, Article 11.

DOI: <https://doi.org/10.54729/2789-8296.1031>

This Article is brought to you for free and open access by the BAU Journals at Digital Commons @ BAU. It has been accepted for inclusion in BAU Journal - Society, Culture and Human Behavior by an authorized editor of Digital Commons @ BAU. For more information, please contact ibtihal@bau.edu.lb.

المسؤولية الاجتماعية بين المفهومين التقليدي والحديث

Abstract

There is a wrong belief that the social responsibility is a modern concept that started in the twentieth century and the fact is that this concept started at the dawn of religions. Prophets preached for good moral, ethics value and deed. Today there is a dedicated date for the social responsibility, which is the 25th of September. Since we currently live in a rapidly changing world, the concept of social responsibility was not an exception and the change applied to it manifested in companies and corporates that started applying the new concept to reflect a beautiful image on its interaction with the environment. Social responsibility is no longer considered voluntary activity as more work is in progress to find a suitable environment to ensure international quality and productivity. Using the power and the knowledge provided by the current knowledge society, the new concept of social responsibility evolved with the evolution of the globalization and the rapid technological advancement. This encouraged corporates and enterprises not only to consider their own interests but also to take into consideration the interests of the consumer, the worker and the civil society as a whole. In the technological and knowledge sector, there is a great opportunity to work on the social responsibility. Teaching people about new technology and its usage is an important aspect to consider and the information technology is one of the most important domains that contributes to societal development. Adopting inter-schooling that combines teaching regular semesters through the internet, interactive tools and academic networks is an illustration of how technology can enrich the teaching experience with special attention to the challenges encountered at the social, intellectual and moral levels. These challenges can destroy national and ethical identity and are illustrated by the cultural, intellectual and ethical invasion of young people that in turn stresses the importance of the family and schooling in this rapidly changing world.

المخلص: المسؤولية الاجتماعية هي الالتزام تجاه المجتمع الذي نعمل فيه، وذلك عن طريق المساهمة بمجموعات كبيرة من الأنشطة الاجتماعية مثل محاربة الفقر وتحسين الخدمات ومكافحة التلوث، وخلق فرص عمل، وحل المشكلات الاجتماعية. فهي عملية شاملة ومتكاملة تسهم في تماسك بنية المجتمع وتحقيق التوازن فيه يشعروهم بقيمتهم ومكانتهم الاجتماعية. فيحرص الجميع على بذل أقصى الجهد، وتقديم أفضل ما يملكون لتحقيق المصلحة العامة، فنمو الفرد ونضجه الاجتماعي يقاس بمستوى المسؤولية الاجتماعية تجاه ذاته وتجاه الآخرين، فهي لا تقوم كطبيعة في الشخص، ولا تتحقق لمجرد الحث على وجودها لديه، إذ ثمة عناصر مشكلة لها، ومعينة على توافرها، فهي بحاجة إلى اهتمام الفرد بالمجتمع وبالمحيط الذي يعيش فيه... وهي لا تقع على عاتق الفرد لوحده، بل تساهم فيها عدة مؤسسات للتنشئة الاجتماعية بدءاً من أسرته إلى المدرسة، إلى وسائل الإعلام التي تساعد على تحمل تبعاتها وتجعله يقتررب أكثر من تحقيق التكيف النفسي، وتحقيق التوافق النفسي الاجتماعي، وتخطي العقبات والصعاب التي تعترض الإنسان بصفة عامة .

Keywords

Individual, Society, Religion, Social Responsibility, New technology, المسؤولية الاجتماعية, الدين, المجتمع, الفرد, التقنيات الحديثة

1. مقدمة

في القديم كان الأفراد يمارسون نشاطهم بحرية مطلقة دون الاكتراث بأثر هذه النشاطات والانعكاسات التي قد تسببها على الوسط الذي تعمل ضمنه. لكن التطور التكنولوجي والعلمي الهائل الذي نشهده في بيئة الأعمال اليوم، والانتقال إلى الاقتصاد الرقمي أو اقتصاد المعرفة، يشير إلى ضرورة الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية، خاصة وأن آثار التطور التكنولوجي لم تعد تقتصر على المحليات بل أصبح لها دوراً مهماً في حياة الدول، بل امتد إلى الخارج بفعل الاستثمار الخارجي للشركات المتعددة الجنسيات. لقد فرضت المسؤولية الاجتماعية نفسها بقوة في محيط العلاقات الاقتصادية سواء الوطنية منها أو الدولية، فمن ناحية أثار ردود فعل المناهضين للعولمة منذ منتصف التسعينات من القرن الماضي، خاصة بعد قيام منظمة التجارة العالمية، والتي كان لها الصدى العميق لدى الشركات المتعددة الجنسيات والعلاقة، حول دورها ومسؤوليتها في مواجهة تنامي ظاهرة الفقر في العالم النامي، نتيجة التطبيقات الصارمة لتحرير التجارة الدولية.

ففي عالم يتغير فيه كل شيء، حيث تتغير الأسواق، ويتضاعف المنافسون وتتطور التكنولوجيا، يكثر الكلام عن التنمية المستدامة، "البيئة"، وتعالى الأصوات من أجل حقوق الإنسان وإحترامه بالرغم من أنها لم تكن موضوعاً للإهتمام من قبل، خاصة وأن المؤسسات الاقتصادية ولعقود طويلة لم تكن تحفل إلا بتحقيق أعظم الأرباح على حساب مجتمعاتها. ذلك أنه من المؤكد أن المؤسسات الاقتصادية ليست بمؤسسات خيرية، وأن هاجسها الأول تحقيق أكبر عائد من الربح، ولكن لم يعد هذا الهدف هو السائد بل ظهرت مفاهيم في منتصف التسعينات من القرن الماضي تفرض نفسها على الساحة الاقتصادية المحلية والدولية. وإذا كانت المسؤولية الاجتماعية قد برزت نتيجة لردود الفعل التي اجتاحت العالم ضد العولمة وضد تنامي الفقر، فإن هذه المسؤولية قد أدرجت في كل عادات وتقاليد وعقائد المجتمعات القديمة.

2. المفهوم التقليدي للمسؤولية الاجتماعية

إن المتنبع لتطور مفهوم المسؤولية الاجتماعية يستطيع أن يلمس تغييرات مهمة وإضافات نوعية أدت إلى اثرائه إذ أن نشوء فكرة المسؤولية الاجتماعية ارتبط بظهور الأديان السماوية، وضرورة تنظيم المجتمع. فالمسؤولية وأن اعتبرها البعض تعود لتنظيم المجتمع إلا أنني أعود بها إلى بدء الخليقة، فمنذ أن عاش أبونا آدم وأمنا حواء في الجنة التي ذكرها الله تعالى، توجهت المسؤولية إليهما معاً: "وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلك الشجرة، وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين" (الأعراف 22) وهذا واضح أن لكل من أبينا آدم وأمنا حواء مسؤوليتهم من بدء الخليقة. (منتدى الشباب 2002، 15).

فالمسؤولية الاجتماعية من المبادئ التي اتفقت عليها جميع الملل والشرائع قديماً والأنظمة والقوانين حديثاً، لما لها من دور كبير في صلاح الأفراد والمجتمع على حد سواء، فهي من القيم الاجتماعية التي حث المرءون وعلماء الدين على أهميتها وضرورة الاتصاف بها، وأقرتها جميع المجتمعات البشرية على اختلاف عقائدهم. ذلك أن المجتمع بأسره بحاجة إلى الفرد المسؤول اجتماعياً، فارتفاع درجة إحساس والتزام أفراد المجتمع بالمسؤولية الاجتماعية، تحكم على تطور المجتمع ونموه، وتنمية الشعور بالمسؤولية، مهمة تقع على عاتق المؤسسات التربوية المسؤولة عن تنشئة الأفراد. (عامر 2019، ص 2).

وهنا يبدو دور دور العبادة في تنمية المسؤولية الاجتماعية فهي إحدى المؤسسات التربوية المهمة التي تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية بما تقوم به من تعليم الطفل على معرفة مبادئ الدين. ومما لا شك فيه أن الحرص على إنباء المسؤولية الاجتماعية حين يتم في دور العبادة يكتسب قوة دينية دافعة، بحيث تكون دور العبادة مؤسسة دينية تزدهر فيها المشاركة الاجتماعية، حيث أن دور العبادة تعمل على إكساب الأطفال العادات والتقاليد والسلوكيات الصحيحة، ومنها حثهم على الاجتهاد في العمل. (فهيم 2015، ص 59 – 60).

3. المسؤولية الاجتماعية في المسيحية

ولذلك فإن قيام الأفراد باصلاح المجتمع من الفساد ينفذه من الهلاك الجماعي، ذلك أن المجتمع الذي ينتشر فيه المنكر ويسكت أفراده عن الإنكار والتغيير فإن الله يعمهم بمحن قاسية، لذلك كانت المسؤولية تدفع كل فرد لتغيير المنكر دفعاً للعذاب والعقاب عن نفسه وعن مجتمعه.

من هنا يتبين لنا أن المسؤولية الاجتماعية ظاهرة شمولية اهتمت بها الأديان السماوية، ففي المسيحية يظهر أن ضعف هذه المسؤولية لدى الأفراد قد يؤدي إلى عواقب اجتماعية وخيمة. فوجد الانجيل يدعو إلى تحمل المسؤولية، وإن من يتحمل مسؤولية المجتمع الذي يعيش فيه، يعود عليه ذلك بالنفع، فوجد في العهد الجديد: "تنبهوا لما تسمعون، فبأي كيل تكيلون يكال لكم" (مرقس 4، ص 56) أو: "ما من شجرة جيدة تنتج ثمراً رديئاً، ولا شجرة رديئة تنتج ثمراً جيداً لأن كل شجرة تعرف من ثمرها (لوقا 6، ص 93) أو "عندما تعملون تؤمرون به قولاً، إنما نحن عبيد بطالون قد علمنا ما كان واجباً" (لوقا 16، ص 156).

ويقول أحد القساوسة: "العالم هو عالم الله، فالشيطان رئيس العالم بالاغتصاب، فلا يجوز لشعب الله أن يتهم العالم ويتركه، فالله هو إله العالم الحاضر والعالم الآتي، إله الأبرار إله الاشرار والخليقة كلها صنعة يديه (Goldwin 1979). وفي هذا إشارة إلى مسؤولية المؤمنين مجتمعين بمحاربة الشيطان (حبيب 1998، ص 53).

ويبرز واضحاً دور المسؤولية الاجتماعية في العهد القديم والجديد، ومما ورد في عصر موسى: "بدأت رحلة شعب الرب بالتدخل الإلهي العجيب لتحرير الشعب من العبودية، وكان التحرير سياسياً، حربياً، اقتصادياً، واجتماعياً... وهناك في البرية تكون شعب الرب وصدرت الوصايا العشر وفيها تركيز كبير على علاقة الجماعة وقيمها السلوكية... وكانت شرائع العناية بالفقير والمحروم من أول الشرائع التي صدرت لرعاية هؤلاء: "لا تسيء إلى أرملة ما ولا يتيم، إن أسأت إليه فإني إن صرخ اليّ اسمع صراخه" (حبيب، 1991، ص 74).

لقد غطت الشرائع في العهد القديم من خلال النظام الموسوي والأنبياء، شرائع عديدة كان الهدف منها حماية الإنسان، وقد تضمنت هذه الشرائع جوانب إنسانية واجتماعية وهي تعتمد على قيم اجتماعية من أجل الإنسان، وفي المسيحية قيمتان مهمتان للإنسان:

- قيمة احترام إنسانية الإنسان، لأن الإنسان له قيمة عظيمة في نظر الله بغض النظر عن اللون أو الجنس أو الدين أو السن.
- والقيمة الثانية هي المساواة بين البشر: "لا فرق بين رجل وامرأة" (تكوين 1، 2) فالإنسان مسؤول أمام الله. رغم بروز فروق منها نظرية الديمقراطية على أساس مساواة حقوق الإنسان واسترداد الإنسان لحريته وكرامته وإنسانيته، قال بولس الرسول: "ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر أو أنثى" (غلاطية 3، 28).
- فالعادلة الاجتماعية تبنى على اقرار حق الإنسان في المساواة وفي قيمته الإنسانية. وقد ظلت المرأة عبر تاريخ طويل يستبد بها الرجل، ولا بد للمرأة أن تسترد مكانتها واحترامها، فالمرأة شريك للرجل على كافة المستويات فكما تمارس المرأة نشاطها، يلزم أن تكون على مستوى الذين يصدرن القرارات والأحكام وتشارك معهم بالفكر والقرار الحكيم (حبيب 1991، ص 76).
- لقد اهتمت الكنيسة منذ بدء تاريخها بعمل الخير والاحسان ففي الفترة من (354 - 430م) اعتبر القديس اغسطينوس في كتابه "مدينة الله"، بعد سقوط روما، نظرت للمدينة الأرضية باعتبارها "مدينة ابليس"، وحتى تتحقق العدالة كاملة يلزم أن نحول المدينة الأرضية لتكون أقرب ما يكون للمدينة السماوية. (Vicencio 1984, 22).
- ولم تتأثر المسؤولية الاجتماعية عند المسيحية، فمع عصر الثقافة في أوروبا، جاء توما الأكويني ليبين أن الإنسان كائن سياسي لأنه كائن اجتماعي، وقد شجع الاكويني على التخلص من المظالم، فإنه لا يجوز الإقلال من قيمة الإنسان (Vicencio 1984, P 24).
- ثم جاء عصر الإصلاح في القرن السادس عشر والذي تميز بفكر مارتن لوتر (1483 - 1546) ثم جون كالفن (1509 - 1564) واهتم لوتر بتحرير الإنسان واعطائه حقوقه ليحمل مسؤوليته الاجتماعية والسياسية، كما اتجه كالفن في نفس اتجاه لوتر ودعا إلى مسؤولية كل فرد أمام الله، ومساواة جميع البشر في المسؤولية.
- كانت سياسة لوتر وكالفن قوة دفع جبارة لياخذ شعب الله مسؤوليته الاجتماعية والسياسية.
- وفي عام 1947 دعا كارل ف هنري إلى المسؤولية الاجتماعية، وكارل هنري هو رئيس مؤسسة "المسيحية اليوم" (Stott 1984, 9).
- وقد تلا ذلك مؤتمرات عديدة في القرن العشرين ومن أهمها مؤتمر لوزان 1974 وجراند رابرز عام 1982 واللذان ركزا على ضرورة وأهمية المسؤولية الاجتماعية (حبيب 1991، 72).

4. المسؤولية الاجتماعية في الإسلام

ظهرت المسؤولية في الإسلام كصفة لازمة له، بما هو ذو عقل واقتدار، وليست صفة له بما هو مقهور ومجبور، مسير ومسخر (المرصفي 1988، 236).

فالإنسان في الإسلام هو جزء من هذه العمارة الكونية خاضعاً لنواميسها وقوانينها، فهو أسير طبيعته وسجين فطرته، ولكنه يملك حريته ويبرز سلطاته في ميدان تنقرر فيه مسؤوليته (المرصفي 1988، ص 237).

وقد اهتم الإسلام بالمسؤولية الاجتماعية، فورد الكثير من الآيات والأحاديث النبوية التي تدعو إلى تحمل المسؤولية الاجتماعية، من ذلك ورود مادة "سأل" مئة وخمسة وثلاثون مرة في القرآن الكريم.

"فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون" (الحجر، 92).

"فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين" (الأعراف، 6).

"وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه. أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم حسيباً" (الاسراء، 13).

"إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً" (الاسراء، 36).

"إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان"، (الأحزاب 72) أي أن الإنسان حمل مسؤولية إعمار الأرض وفقاً لإرادة الله الذي استخلفه، فالكون كله مسؤول، من أصغر شيء حتى أكبر شيء فيه، وحتى بعد نهاية حياة الإنسان في المحشر والقيامة، "وقفوهم إنهم مسؤولون" (الصافات 24).

فالمسلم في تصرفاته الاختيارية سيد مسؤول، ومسؤوليته مشتقة من سيادته، فهو يشعر بتسويد الله له منذ جعله خليفة في الأرض، فمكته منها، واستعمره فيها.

"إن من نعم الله عليكم حاجة الناس إليكم"، وإذا تركنا المفهوم الضيق لهذا القول، نناشد الناس بقول آخر: "إن من نعم الله عليكم حاجة المجتمع بل الكون إليكم". ذلك أن مطالب الحياة لا تتحقق بدون تضافر القوى البشرية، فالجميع شركاء في المسؤولية. وهكذا فكل شيء في الكون ينادينا بأننا مسؤولون لا بمعنى أننا متهمون محاسبون، بل بمعنى أننا مقصودون مأمولون (المرصفي 1988، 238).

فالمسؤولية في الإسلام، شاملة، متكاملة تتناول الفرد والجماعة حيث أن الفرد مسؤول عن نفسه وعن عمله "وقفوهم إنهم مسؤولون" (الصافات 24).

مسؤول عن ذاته، عن حواسه وعقله وقلبه وجسمه، وكذلك مسؤول عن عمله (فهيم 2015، 24).

وقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بتكوين الأفراد، وبناء الأسرة، وتشبيد المجتمعات، ووضع أصولاً وقواعد اجتماعية نجحت في مهمتها فحققت المجد للأمة الإسلامية.

إن الله جلت حكمته، لما جعل الإنسان خليفة في الأرض، أعطاه وسائل هذه المعرفة، ومكته من التصرف في الأشياء وفي نفسه، باستعمال قواه الظاهرة والباطنة، فجعله صاحب مسؤولية، أي صاحب سلطان ونفوذ، فمسؤوليته مشتقة من سيادته، وعلى قدر اتساع سلطة الإنسان تكون مسؤوليته، وفي هذا جاء الحديث الشريف: "ألا ككلم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته" (البخاري 93 الأحكام 7138).

وقد ارتبط مفهوم المسؤولية الاجتماعية في الإسلام بمفهوم الإلزام، ومفهوم الجزاء، ومفهوم الحرية، فقيام المسلم برعاية المسؤوليات الموكولة إليه مبني على درجة الإلزام بها، ومدى ما في هذا الإلزام من قوة تدفع الإنسان إلى العمل والتطبيق (فهمني 2015، ص 25) وفي الحديث الشريف: "من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

وهناك معنى خاطئ "فمن لم يستطع فقلبه" ذلك أنه قد يعني عند البعض إنكار هذا المنكر بالقلب، وهذا خطأ: لأن المطلوب تغيير هذا المنكر بالقلب والسكوت عنه يعتبر خطأ، لذلك فإن كراهية المنكر بالقلب دون أي مظهر سلبي ليس مقبولاً عند الله، بل يعد مشاركاً في الإثم والمنكر، وتأكيد ذلك يظهر في ما ورد في الحديث الشريف: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على أيدي المسيء، ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم" (أبو داوود، 4314). وهذا النوع هو الذي تتجلى فيه حقيقة المسؤولية الاجتماعية بمعناها الأدق.

ومن المبادئ التي قررها الإسلام قصر المسؤولية على المسؤول وحده، فلا يؤخذ بريء بجريرة مذنب، وحماية للإمام المسلم من الانزلاق في الظلم جاء قوله تعالى: "ولا تزر وازرة وزر أخرى" (الأنعام، 164) وبالتالي لا يستقيم أمر الأمة، ولا تتسق شؤونها إلا إذا قام كل من الحاكم والمحكوم بمسؤولياته. والمجتمع الذي يشيع فيه المنكر، وينشر فيه الفساد، ويسكت فيه الأفراد من التعبير، فإن الله يرميهم بمحن قاسية تصيب الجميع. وبهذا يتوجب على المؤمن تغيير المنكر، دفعاً للعذاب.

5. المسؤولية الاجتماعية في المفهوم الحديث

ومع الثورة الصناعية، وبداية العصر الحديث، ارتبط مفهوم المسؤولية الاجتماعية بقيام المشاريع الصناعية، وما عايشته المؤسسات في تلك الفترة من تقدم بفضل مختلف الاختراعات العلمية التي ساهمت بشكل كبير في تحقيق الرفاهية، والتي عملت الهيئات الصناعية للإستفادة منها في تعظيم أرباحها مستنزفة بذلك كل الموارد الطبيعية، من استنزاف للطبيعة، وأضرار بالبيئة، وأحداث التلوث البري والمائي، أو الموارد البشرية من عمالة للأطفال والنساء، مستفيدة من تدني أجورهم، أو من تمديد ساعات العمل بالسخرة.

وفي مرحلة تالية، وفي أعقاب الثورة الفرنسية والصناعية، وقعت تحولات اجتماعية، طرحت متغيرات جديدة منها ظهور الطبقة الاجتماعية والبرجوازية والتضامن الاجتماعي، والبيروقراطية، وظهور دور الجماهير من خلال انتظامها في تشكيلات اجتماعية مختلفة تتحمل مسؤولية تطوير مجتمعاتها.

انطلاقاً من هذا ظهر مفهوم المنظمات غير الحكومية، والتنمية المستدامة، والشفافية، والشراكة، إضافة إلى المسؤولية الاجتماعية التي تحوي ضمناً عدداً كبيراً من المفاهيم الأخرى.

وبذلك فإنه كلما قطع المجتمع شوطاً على طريق التقدم، وكلما ابتعد عن التكوينات الأثرية، وكلما تحققت دولة الرفاهية، كلما تضخم مكون الحقوق مقارنة بمكون الواجبات، بحيث تصبح حقوق المواطن على الدولة واضحة ومعترف بها مقارنة بالدولة المتخلفة التي لا تعترف بأن للمواطن حقوقاً إلا على أوراق الدستور.

وهكذا أصبح المجتمع وليس الدولة أو النظام السياسي هو هدف ونطاق فاعلية المسؤولية الاجتماعية. ذلك أن جميع البشر عليهم مسؤوليات اجتماعية تجاه مجتمعهم، وكلما كانت التكوينات الاجتماعية ذات طبيعة إثنية كلما كان ثقل الواجبات أعلى، وارتباطاً بذلك فإنه كلما قطع المجتمع شوطاً على طريق التقدم وكلما ابتعد عن التكوينات الإثنية، وكلما تحققت دولة الرفاهية كلما تضخم مكون الحقوق مقابل مكون الواجبات، إذاً التوازن يجب أن يبقى بين الحقوق والواجبات وإذا حدث إخلال في ذلك كأن يؤدي الفرد الواجبات التي تفرضها مسؤولياته دون أن يحصل على حقوقه فإن ذلك من شأنه أن يضر بتوازن المسؤولية الاجتماعية ويدفع إلى الخروج على المجتمع من أجل الحصول على حقوقه الأساسية.

فالمسؤولية الاجتماعية حقيقة متطورة، نحن نعيش في عصر لا ثبات فيه، كل مفاهيمه قابلة للتغير أو التطور، وهذا التطور يتجه نحو التوسع، فنجد أنه في المرحلة الأولى من تاريخ التطور الإنساني، كانت المسؤولية محددة بالأطر المباشرة للفرد، حيث كانت مسؤولية الفرد تتوقف عند حدود الأسرة، أو الجماعة القروية، ثم تطورت بعد ذلك واتسعت في المرحلة الاقتصادية وتحدت المسؤولية الاجتماعية للفرد بحدود المجتمع المحلي.

وفي المرحلة الحديثة، ومع قيام الدولة القومية اتسع نطاق المسؤولية الاجتماعية فأصبح في مواجهة المجتمع المدني Society، حيث للمجتمع حقوق على الفرد تتحول إلى واجبات مفروضة، عليه الوفاء بها بحكم مواطنته في هذا المجتمع، وإذا كانت المراحل السابقة على الدولة القومية تحدد المسؤولية الاجتماعية باعتبارها "بنية" من الواجبات نحو الجماعات القروية أو الإثنية التي ينتمي إليها الفرد، فإن المراحل الحديثة والمعاصرة من التاريخ بدأت تشهد ازدواجية "بنية" المسؤولية الاجتماعية، باعتبارها واجبات على الفرد أن يؤديها تجاه المجتمع، وهي حقوق للمجتمع على الفرد مؤكدة بالمواثيق والتشريعات (عمر 2019، ص 46).

ومع بداية العقد الأخير من الألفية الثانية فتح باب المشاركة أمام الجماهير وتدريبهم على تحمل مسؤولياتهم، فظهرت المنظمات غير الحكومية وبدأ دورها في التنمية من أسفل أي من الجماهير، وتراجع دور الدولة القومية كفاعل تنموي بعد أن فشلت تجارب التنمية التي قادتها هذه الدولة بسبب سمو طابع الواجبات على الحقوق، مما يجعل المسؤولية الاجتماعية غير متوازنة، فقد فرضت الدولة على مواطنيها واجبات في مواجهة اعتراف ضعيف بالحقوق التي ينبغي التمتع بها.

ولهذا وبسبب ضعف الدولة في واجباتها، حدث الانقلاب في الفكر التنموي حيث جرى التأكيد بضرورة بدء التنمية من الأسفل وضرورة تطوير الوعي البشري بأهمية التنمية لتحسين الأوضاع، وهو ما يعرف بالتنمية المستدامة.

في هذا الإطار نجد أن تنظيمات المجتمع المدني من خلال مسؤوليتها الاجتماعية عن التنمية المستدامة، هي الفاعل الذي يعمل في اتجاه تطوير إمكانيات الفقراء وقدراتهم في الوقت الذي عجزت فيه الحكومة عن إشباع احتياجاتهم الأساسية.

6. عوامل عدم تعرف مجتمعاتنا إلى المسؤولية الاجتماعية

إذا كان القطاع الخاص في المجتمعات الغربية قد تعرف على مسؤوليته الاجتماعية فإن القطاع الخاص في مجتمعاتنا العربية لم يتعرف على مسؤولياته الاجتماعية بعد، وذلك يرجع لعوامل منها:

- عدم وجود ثقافة المسؤولية الاجتماعية لدى معظم شركات القطاع الخاص، فقلة من الشركات الكبرى هي التي تتبنى هذه الثقافة، في حين تجهل بقية الشركات هذا المفهوم.
- إن جهود معظم الشركات في هذا المجال مبعثرة وعشوائية وتتداخل مع العمل الخيري.
- غياب ثقافة العطاء من أجل التنمية، فالمسؤولية الاجتماعية مرتبطة بإطعام الفقراء أو تأمين الملابس دون التطرق للمشاريع التنموية.
- غياب الإعلام الملتمزم بالمسؤولية الاجتماعية، والذي يدعو لأن تقوم الشركات بالعمل في اتجاه تنمية المجتمع، خاصة وأنا نعيش في عصر العولمة، وتراجع دور الدولة القومية بحيث أصبحت هذه الدولة عاجزة عن إشباع حاجات مواطنيها وتنمية مجتمعاتها، سيما وأن انتشار الأنظمة الاستبدادية في العالم الثالث تؤدي إلى تضيق قنوات المشاركة الاجتماعية والسياسية وتستبعد المنظمات غير الحكومية. ويبقى النظام الأبوي الفاشل، كذلك فإن جانباً من المسؤولية الاجتماعية يتمثل في ضرورة العمل على نشر ثقافة التطوع في المجتمع (عمر 2019، ص 67).

ذلك أن الدولة الراضة للشفافية والمعتمدة على النظام الأبوي تنظر إلى المسؤولية الاجتماعية من خلال نافذة فرض الواجبات على المواطنين دون الالتفات لأية حقوق لهم عليها.

وقد يصل الأمر إلى حرمان الجماهير حتى من حقها بالمطالبة بحقوقها، لذلك فشل التحول إلى الديمقراطية، فقد أصبح على المواطنين أن يقوموا بواجباتهم دون الحصول على حقوقهم، الأمر الذي أضر بالمجتمع وأورثه الكثير من الأمراض الاجتماعية، وسقطت الدولة في حالة الضعف جراء عدم تنفيذ القوانين المعطلة، وتردي الوضع الاقتصادي، مما يؤدي إلى لجوء المواطنين إلى مرجعياتهم الإثنية للمساعدة في إشباع حاجاتهم الأساسية وهو ما يساعد على أن تتقدم الجماعة الإثنية لتحل محل الدولة في الاضطلاع بالمسؤولية الاجتماعية. مما يؤدي إلى حجب المواطنين لجوانب من مسؤوليتهم الاجتماعية تجاه الدولة، وتعظيم مسؤوليتهم أمام إثنيتهم، مما يؤدي إلى قيام صراع مع الجماعات الإثنية المختلفة داخل الدولة الواحدة وقيام الفوضى وذلك جلي في الدول المجاورة لنا.

وإذا اعتمدنا قول رئيس الوزراء اللبناني السابق صائب سلام بأن وطننا لبنان طائر بجناحيه المسلم والمسيحي، فأني أقول إن المسؤولية الاجتماعية هي توازن بين جناحي الحقوق والواجبات، والحالة الافتراضية أن يكون المواطن على معرفة كاملة بحقوقه وواجباته.

من هنا يتوجب دفع كل الأطراف للوفاء بالتزاماتهم تجاه مجتمعهم، ذلك أن الأفراد في أغلب الأحيان لا يقومون بهذه الالتزامات ولا يدركون أن لهم حقوقاً يجب أن يحصلوا عليها.

فما زال الوعي ناقصاً بأهمية المسؤولية الاجتماعية عند الأفراد، فالفرد يشعر أنه يقوم بواجباته دون أن يحصل على حقوقه، والمجتمع ما زال فاقداً للوعي نحو مسؤوليته الاجتماعية، فهو لم يدرك بعد هذه المسؤولية. وهذا التأخر بمعرفة أهمية المسؤولية الاجتماعية، يدفعنا للاهتمام والاسراع بخطى نحوها لنصل إلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويتجاوز النظرة الضيقة الساعية لتحقيق أقصى الأرباح على حساب الأفراد والمجتمع، برزت دعوة إلى توسيع مفهوم المسؤولية الاجتماعية من عمل خيري إلى مؤسسة أكثر استيعاباً للبيئة ومتغيراتها.

أما في عصر العولمة الذي نعيش فيه، تتداخل الأحداث ويزداد الوعي الإنساني في القضايا الداخلية والخارجية، وبالتالي تأثرت قضايا الإنسان بفعل هذه الظروف (فهيمى 2015، ص 13). وإذا عدنا إلى منتصف القرن الماضي نجد أن الفلسفة الاقتصادية الكلاسيكية هي السائدة، وهذه الفلسفة تقوم على أن واجب الشركات الأساسي هو الربح دون الالتفات للمجتمع، ولكن في نهاية القرن الماضي بدأ العالم الأول يشهد بروزاً لافتاً لجمعيات حماية المستهلك والجمعيات المدنية التي بدأت تؤثر على سلوك الشركات ومراقبة منتجاتها ومطابقتها للبيئة، وبدأ ظهور جماعات ضاغطة، بيئية أو نسائية تعني بحقوق الأفراد، مما دفع الشركات بإعادة النظر بقراراتها التمييزية بحق فئات معينة من الناس (صحيفة الأخبار 2019/8/23). وهكذا اضطرت الشركات المتعددة الجنسيات إلى حمل لواء المسؤولية الاجتماعية للظهور بصورة إيجابية أمام شعوب العالم الثالث، ولتبعد عنها الشبهات بأنها مظهر من مظاهر الاستعمار الاقتصادي، بدأت تعمل لدعم مفهوم المسؤولية الاجتماعية فصدر: "الميثاق العالمي للأمم المتحدة الخاص بممارسة الأعمال التجارية والشركات عام 2000" The united Nation Global Compact، وكذلك صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وكذلك إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل وكذلك صدر إعلان ريو الخاص بالبيئة والتنمية واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، وكل هذا يدعم المسؤولية الاجتماعية.

وهكذا نلاحظ تركيز مبادرات المسؤولية الاجتماعية للشركات على قطاعي التعليم والتكنولوجيا، فالتعليم وتمكين الأفراد من التكنولوجيا يجعل الدول تشجع الشركات على العمل في هذين الميدانين، ويعتبر مجال تقنية المعلومات من أهم المجالات التي تساهم في تنمية المجتمع وتطويره (حايك هيام 2013، blognaseej.com/2013/12/03).

ومع توسع نطاق الشبكات العنكبوتية وتنوع الأجهزة الإلكترونية أصبح التواصل بين الأفراد أمر بديهياً مما جعل للإعلام الأهمية الكبرى، فقد احتل المكانة التي كانت لرأس المال في المجتمعات الصناعية في الماضي القريب، مثلما احتل رأس المال المكانة التي كانت للموارد الطبيعية قبل مائتي عام (المصمودي 1985، ص 130) وبناء على ذلك لا يمكن الفصل بين تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصال فقد جمع بينهما النظام الرقمي (علم الدين 1996، ص 102).

أن التوسع البالغ الذي سجله قطاع الإعلام داخل مجموع النشاط الصناعي في البلدان المصنعة سيؤثر حتماً في التطور الاجتماعي والاقتصادي السياسي لكل بلد، وتبعاً لذلك يتوجب على البلدان النامية استخدام الإعلام بطريقة أفضل حتى يساهم في تطويرها وتنميتها.

وقد يكون توسيع الأفق الذهني أول مظهر من مظاهر وسائل الاتصال، إذ بإمكان هذه الوسائل أن تساعد شعوب البلدان النامية على معرفة نمط حياة الشعوب الأخرى (المصمودي 1985، ص 131) فإنها في المقابل تساعد في معرفة حوادث حصلت في مناطق أخرى في العالم، فالحماية من المطر الأسيدي في دولة ما عديم الفائدة إذا استمر سقوط هذا المطر في أقطار أخرى، وانتشار الإشعاعات في الجو لا توقفه حدود، وتنظيف البحر من مخلفات صناعية لا يجدي إذا استمرت دول أخرى بتلويته، من هنا كان الاهتمام بالبيئة العالمية، إن استنزاف المصادر الطبيعية الناتج عن التطور الاقتصادي في الأقطار الصناعية يؤدي إلى مشاكل لا يمكن التغلب عليها بصورة منفردة، فالدول الثرية لا يعينها تلوث المصادر الطبيعية ولا تعمل كثيراً للحفاظ على البيئة، بينما تواجه الدول النامية مشاكل الفقر، والتلوث البيئي الناتج عن الأقوياء. (الخولي، 2005، ص 31).

7. المسؤولية الاجتماعية في لبنان

بدأت تظهر في لبنان مؤخراً يقظة حذرة على مفهوم المسؤولية الاجتماعية تتعدى إطار بعض المساعدات الاجتماعية الخيرية التي كانت بعض المصارف والمؤسسات الكبرى تقدمها على صعيد الأفراد (منح مدرسية أو جامعية) أو دعم المشاريع المخصصة للبيئة.

وهناك العديد من المؤسسات لديها قسم خاص بالمسؤولية الاجتماعية فيما البعض الآخر يكلف اقساماً تقليدية لديه بالمشاريع الاجتماعية، إلا أن الملفت أن العديد من المؤسسات الملتزمة بالمسؤولية الاجتماعية لا يلتزم بموازنة مساوية ثابتة لتمويل مشاريعها المدرجة في هذه الخانة، مما يطرح تساؤلات حول استدامتها وحول استمرارية المؤسسات في هذا الاتجاه. وكحل لهذه المعضلة أرى أنه من الضروري تطوير برامج التبادل الدولي في المسؤولية الاجتماعية للشركات والمصارف من خلال اتفاقات مع مؤسسات متعددة الجنسيات من ذوي الخبرة في هذا المجال، وإلا يبقى تطور المسؤولية الاجتماعية بطيئاً ومحدوداً (رزق الله، 2016، ص 4).

لذلك تحتاج الشركات للقيام بعمل أفضل من خلال توجيه تبرعاتها لصالح برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول، كما تحتاج إلى توجيه المزيد من الاهتمام للأثار الاجتماعية المترتبة على أنشطتها. وإذا لم تقم الشركات بذلك فقد تصبح أكثر عرضة للمخاطر في عالم اليوم الذي يتجه بسرعة نحو العولمة، بحيث يكون المستهلكون مستعدون لمعاينة الشركات من خلال آليات السوق عن الممارسة التي يعتبرونها غير عادلة، وغالباً ما يأخذ العقاب شكل تحول المستهلكين إلى الشركات المنافسة.

إن الاستياء المتزايد من جانب المستهلكين تجاه الشركات الكبرى يجب أن يكون جرس انذار لكافة الشركات التجارية لتطبيق استراتيجيات تهدف إلى تحسين البيئة التي تعمل فيها ولاستعادة ثقة المستهلكين. إن الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية يمكن أن يسهم بشكل فعال في رفع القاعدة الإنتاجية، كما أن تثقيف الموظف بهذا المفهوم يسهم في تخفيف الأعباء عن الشركات وزيادة الإنتاجية (الأسرج – Google books).

8. خلاصة

النتيجة التي توصلت إليها هي أن الدولة في المجتمعات الشمالية قطعت شوطاً في طريق التحديث وقبلت مشاركة المواطنين فيها، ولكن الدولة في مجتمعات الجنوب ظلت أبوية، معاندة، تنظر إلى المسؤولية الاجتماعية من خلال نافذة فرض الواجبات على المواطنين دون الالتفات إلى الاستجابة لأية حقوق لهم عليها، ولأن معادلة الوفاء بالمسؤولية الاجتماعية والقوة لصالح الدولة الأبوية ولغير صالح المواطنين، فقد أصبح عليهم أن يقوموا بالواجبات دون أن يحصلوا على الحقوق وهو ما دفع المواطنين في أغلب دول الجنوب إلى العزوف عن المشاركة في المسؤولية الاجتماعية فسقطت الدولة أسيرة الضعف الهوان.

مصادر ومراجع البحث

- صحيح البخاري.
- أبو داود: عون المعبود.
- الأسرج، حسين عبد المطلب. *المسؤولية الاجتماعية للشركات في الدول العربية*، Google books google.com Retrieved from
- هايك، هيام. (2013)، *المسؤولية الاجتماعية لشركات التكنولوجيا في سياق العولمة* blog-naseej.com/2013/12/3 Retrieved from Corporate – Social – responsibility
- حبيب، القس صموئيل. (1991) *الكنيسة والتنمية، القاهرة: دار الثقافة.*
- حبيب، القس صموئيل. (د. ت) *أداب الدعاية وأخلاقيتها، المجلس الحبري لوسائل الاتصال الاجتماعية – بيروت، جل الديب: اللجنة الاسقفية لوسائل الإعلام.*
- حنا، أنور زكي. (2002) *إكليسيا الكنيسة والمجتمع والعالم، القاهرة: دار الثقافة.*
- الخولي، أسامة، وآخرون. (2005) *العرب وثورة المعلومات، سلسلة كتب المستقبل العربي رقم 44، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.*
- رزق الله، سهام. (2016) *المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات والأعمال، أي تطور وأي تحديات في لبنان.* www.lebanonFiles.com Retrieved from
- علم الدين، محمود. (1996) *ثورة المعلومات ووسائل الاتصال، التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال، دراسة وصفية، مجلة السياسة الدولية، العدد 123 يناير 1996.*
- عمر، د. عادل. (2019) *المسؤولية الاجتماعية ودورها في بناء واستقرار المجتمع* Pulpit.alwatanvoice.com مؤتمر *المسؤولية الاجتماعية وبناء الإنسان، رؤية مستقبلية، شرم الشيخ.*
- فهمي، محمد سعيد. (2015) *المسؤولية الاجتماعية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.*
- المرصفي، سعد. (1988) *المسؤولية الاجتماعية في الإسلام (د. ن).*
- المعمودي، مصطفى. (1985) *النظام الإعلامي الجديد الكويت: سلسلة عام المعرفة 94.*
- منتدى الشباب (2002) *الشباب تطلع نحو المسؤولية، العدد 15 – إيران: مؤسسة البلاغ.*

REFERENCES

- Gladwin, J. W. (1979). *God's People in God's World: Biblical Motives for Social Involvement.* Intervarsity Press.
- Stott, J. R. (1984). *Issues Facing Christians Today: A Major Appraisal of Contemporary Social and Moral Questions.* Basingstoke, Great Britain: Marshall Morgan & Scott.
- Villavicencio, C. (1984). *Between Christ and Caesar, Clinic and Contemporary social and Moral Questions,* London: Marshall Morgan and Scott.